

أثير الخوارزميات في تداول السرديات التاريخية عبر المنصات الرقمية

The Influence of Algorithms on the Circulation of Historical Narratives across Digital Platforms

بوعيفي سارة¹¹ جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر2 (الجزائر)، sara.bouaifi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/10 تاريخ القبول: 2026/04/01 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

تناقش هذه الورقة تأثير خوارزميات المنصات الرقمية على انتشار السرديات التاريخية. إذ توضح كيف تُوجّه الخوارزميات المحتوى بناءً على معايير التفاعل لا الدقة أو التوازن. كما تتناول تحيّز الخوارزميات في إعادة إنتاج السرديات الرسمية وتهميش الأصوات البديلة. وتشير إلى أن الجماهير تشارك في نشر السرديات، لكن ضمن حدود ترسمها الخوارزميات نفسها. يبرز الدور الخفي للتقنيات في تشكيل الوعي التاريخي الجمعي. تدعو المداخلة إلى الوعي النقدي بهذه الآليات الرقمية.

الكلمات الدالة :

الخوارزميات، السرديات التاريخية، المنصات الرقمية، التحيّز الرقمي، التفاعل الجماهيري، الهيمنة الإعلامية

Abstract:

This intervention explores the impact of digital platform algorithms on the spread of historical narratives. It shows how algorithms prioritize content based on engagement rather than accuracy or balance. It also addresses algorithmic bias in reinforcing official narratives while marginalizing alternative voices. Although audiences actively engage in sharing content, their actions are limited by algorithmic frameworks. The piece highlights the hidden role of technology in shaping collective historical consciousness. It calls for critical.

Keywords:

Algorithms, historical narratives, digital platforms, algorithmic bias, public engagement, media hegemony.

*المؤلف المرسل: بوعيفي سارة

1. المقدمة

مع التحول الرقمي المتسارع الذي يشهده العالم في العقود الأخيرة، أصبحت الخوارزميات هي الآلية الأساسية التي تُنظم تدفق المعلومات على شبكة الإنترنت. هذه الخوارزميات، التي تُستخدم في محركات البحث، وشبكات التواصل الاجتماعي، ومنصات مشاركة الفيديو، لم تعد مجرد أدوات تقنية، بل باتت تُمثل قوة خفية تُعيد تشكيل الطريقة التي نتلقى بها المعرفة، ونفهم بها التاريخ، ونتفاعل بها مع الماضي.

في هذا السياق، لم تعد السرديات التاريخية – أي الروايات والتفسيرات التي تُقدم حول أحداث الماضي – حكرًا على المؤسسات الأكاديمية أو الكتب المتخصصة، بل أصبحت متاحة لعامة الناس عبر الإنترنت. إلا أن ما يظهر أمام المستخدم من محتوى تاريخي لا تحدده القيمة العلمية للمعلومة، بل ما تراه الخوارزمية مناسبًا استنادًا إلى معايير مثل التفاعل، مدة المشاهدة، التفضيلات الشخصية، والميول الإيديولوجية أحيانًا. وهذا ما يجعل من الخوارزميات عاملًا فاعلاً في انتقاء وتضخيم سرديات تاريخية معينة، على حساب أخرى.

إن هذه الآلية تُثير عدة إشكاليات: فهي قد تُسهم في تعميم قراءات مبسطة أو مشوهة للتاريخ، أو تعزز روايات شعبية تلبى العاطفة الجماهيرية على حساب الدقة العلمية. كما أنها قد تُعيد إنتاج تحيزات تاريخية قائمة، أو تخلق تحيزات جديدة عبر إعادة ترتيب الأولويات في ما يُعرض أو يُحجب من محتوى. من هنا، تبرز الحاجة الملحة إلى تحليل دور الخوارزميات ليس فقط بوصفها أدوات تقنية، بل بوصفها "فاعلين معرفيين" يشاركون في صناعة الوعي التاريخي المعاصر.

وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تفكيك العلاقة بين الخوارزميات والسرديات التاريخية، من خلال تناول ثلاثة محاور رئيسية:

- دور خوارزميات المنصات الرقمية في توجيه المحتوى التاريخي.
- تحيز الخوارزميات وإعادة إنتاج السرديات الرسمية أو المهيمنة.
- التفاعل الجماهيري مع السرديات التاريخية عبر الخوارزميات.

2. دور خوارزميات المنصات الرقمية في توجيه المحتوى التاريخي

الخوارزميات، بعبارة بسيطة، هي مجموعات من القواعد والتعليمات التي تستخدمها المنصات الرقمية لترتيب وتصفية المحتوى بناءً على معايير متعددة مثل تفضيلات المستخدم، سلوكياته السابقة، وطريقة تفاعله مع المحتوى (عمرو، 2021، صفحة 6). منصات مثل يوتيوب وفيسبوك وتويتر وتيك توك تعتمد على هذه الخوارزميات بشكل كبير لضمان تقديم محتوى يثير اهتمام المستخدم ويزيد من تفاعله مع المنصة. (عمرو، 2021، صفحة 6).

كما يمكن تعريفها على أنها : " مجموعة من القواعد والخطوات الرياضية والمنطقية التي تُستخدم لمعالجة البيانات واتخاذ القرارات بشكل آلي في عصر رقمي، تعتمد منصات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث على خوارزميات متطورة لتحديد المحتوى الذي يظهر للمستخدمين بناءً على اهتماماتهم وسلوكهم التفاعلي " (Pariser, 2011, pp. 120-123).

كذلك هي: " هي أنظمة حسابية تُستخدم لمعالجة البيانات وتحديد المحتوى المعروض للمستخدمين على المنصات الرقمية". (Pariser, 2011, p. 123)

عندما يتفاعل المستخدم مع محتوى تاريخي معين أو يبحث عنه، تقوم الخوارزميات بتحليل هذا التفاعل لتوجيه المزيد من المحتوى المشابه. يعتمد توجيه هذه الخوارزميات على عوامل عدة، منها التفضيلات الشخصية للمستخدم التي تحدد اهتماماته بناءً على نشاطه السابق، بالإضافة إلى المواضيع الرائجة التي تحظى بانتشار واسع على المنصة، وكذلك تفاعل المستخدمين الآخرين مع المحتوى، حيث يتم ترويج المحتوى الذي يحقق نسب مشاهدة وتعليقات عالية بشكل أكبر.

وفي دراسة أجريت عام 2018 على منصة فيسبوك، وجد الباحثون أن الخوارزميات تميل إلى تعزيز المحتوى الذي يحفز ردود أفعال عاطفية قوية، مما أدى إلى انتشار بعض الروايات التاريخية المثيرة للجدل على حساب الروايات الأكثر دقة وموضوعية (حسين، 2022، صفحة 56). كذلك، أظهرت دراسة أخرى نُشرت في مجلة "Social Media + Society" عام 2020 أن المستخدمين الذين يستهلكون المحتوى التاريخي عبر منصات رقمية غالباً ما يدخلون في "فقاعات تصفية" حيث تُعزز الخوارزميات تفضيلاتهم السابقة، ما يحد من تعرضهم لمعلومات تاريخية متنوعة (حسين، 2022، صفحة 57).

يتضح من هنا، أن خوارزميات توجيه المحتوى تؤثر بشكل مباشر على كيفية إعادة تشكيل الذاكرة التاريخية للجمهور. فهذه الخوارزميات تميل إلى التركيز على المحتوى الأكثر جذباً للانتباه، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى إبراز بعض الأحداث أو الشخصيات التاريخية على حساب أخرى، وبالتالي قد تشوه الصورة العامة للتاريخ وتجعلها غير متوازنة. كما أن الاعتماد على تفضيلات المستخدم يؤدي إلى ما يعرف بفقاعة التصفية، حيث يرى الفرد فقط النسخة من التاريخ التي تتوافق مع وجهة نظره، مما يحد من إمكانية الاطلاع على وجهات نظر متعددة ومتنوعة. هذا التوجيه الخوارزمي قد يساهم أيضاً في انتشار معلومات تاريخية مغلوطة أو مشوهة، خاصة عندما يكون المحتوى أكثر إثارة أو جدلاً، إذ تركز الخوارزميات على جذب أكبر عدد من المشاهدات والتفاعلات بغض النظر عن صحة المعلومات، مما يعرض الجمهور لخطر استلام محتوى غير دقيق. وفقاً لدراسة نُشرت في "Computers in Human Behavior" عام 2019، أظهرت أن الخوارزميات يمكن أن تزيد من انتشار الأخبار المزيفة والمعلومات المغلوطة بسبب طبيعتها التي تفضل المحتوى العاطفي والجذاب (العتيبي، 2020).

على الرغم من هذه التحديات، لا يمكن تجاهل الفرص الكبيرة التي توفرها خوارزميات المنصات الرقمية لنشر المحتوى التاريخي بشكل أوسع. فهي تسهل وصول المستخدمين إلى مصادر تاريخية متنوعة بسرعة وسهولة، كما تتيح تعزيز التفاعل مع هذا المحتوى من خلال التعليقات والمناقشات التي ترفع من مستوى الوعي التاريخي. بالإضافة إلى ذلك، تسمح هذه الخوارزميات بتخصيص المحتوى بما يتناسب مع اهتمامات كل مستخدم، مما يحسن تجربة التعلم ويجعل المحتوى أكثر ملاءمة.

لتطوير دور هذه الخوارزميات بشكل إيجابي في توجيه المحتوى التاريخي، من الضروري زيادة شفافية عملها بحيث يفهم المستخدمون كيف يتم اختيار وترتيب المحتوى الذي يتلقونه. كما يجب العمل على تنوع مصادر المحتوى التاريخي الذي يتم ترويجه للحد من الانحياز الذي قد تنشأ عنه فقاعات التصفية، إلى جانب دعم آليات تحقق من صحة المعلومات للحد من انتشار المحتوى المغلوط. في الوقت ذاته، يجب تعزيز مهارات التفكير النقدي لدى المستخدمين، وتشجيعهم على عدم الاعتماد فقط على المحتوى الذي تقدمه الخوارزميات بل السعي إلى الاطلاع على مصادر متعددة.

تظل خوارزميات المنصات الرقمية أداة قوية تؤثر في كيفية تلقي وفهم المحتوى التاريخي، ولا بد من تفعيل دورها بشكل مسؤول ومتوازن لضمان الحفاظ على دقة المعلومات وتعزيز الوعي التاريخي.

3. تحيُّز الخوارزميات وإعادة إنتاج السرديات الرسمية أو المهيمنة.

تلعب الخوارزميات دورًا محوريًا في تشكيل السرديات التي يتلقاها الأفراد عبر المنصات الرقمية، ولا تقتصر هذه السرديات على المحتوى الترفيهي أو التجاري فقط، بل تمتد إلى الخطابات السياسية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك السرديات الرسمية التي تعكس مواقف الدول أو المؤسسات. ويمكن فهم آلية إعادة إنتاج الخوارزميات لهذه السرديات من خلال تحليل ثلاث آليات أساسية: ترجيح مصادر محددة، وتصنيف المحتوى غير المتوافق، وتقوية فقاعات الترشيح.

1.3. ترجيح مصادر محددة

تعمل الخوارزميات، لا سيما في محركات البحث مثل Google ومنصات الأخبار الرقمية، على ترتيب المحتوى بناءً على مجموعة من المعايير التي يُفترض أنها "محايدة"، مثل مدى موثوقية المصدر، عدد الروابط المؤدية إليه، وتفاعل المستخدمين معه. غير أن هذه المعايير في الواقع تُفضِّل ضمنياً المصادر الكبرى والرسمية، مثل المؤسسات الإعلامية التقليدية والمواقع الحكومية، على حساب المصادر المستقلة أو المعارضة (Noble, 2018, p. 76). بهذه الطريقة، تُمنح الرواية الرسمية الأفضلية في الظهور والانتشار، بينما تُدفع الروايات المغايرة إلى الهوامش، أو حتى يتم تجاهلها كلياً. فعلى سبيل المثال، عند البحث عن أحداث سياسية معاصرة أو قضايا جدلية، فإن النتائج الأولى التي تظهر عادةً هي تقارير من وكالات أنباء دولية أو محلية تتبنى الخط الرسمي، بينما يتم إخفاء أو تأخير المحتوى

الذي يحمل سرديات بديلة أو نقدية. وهكذا، لا يكون المستخدم في مواجهة طيف واسع من وجهات النظر، بل مع نسخة "مفلترة" ومُعتمدة من الحقيقة، تُعزز السلطة الرمزية للمؤسسات القائمة وتكرس الرواية السائدة كمرجعية وحيدة للمعرفة (Noble, 2018, p. 77).

2.3. تصنيف المحتوى غير المتوافق

عنصر آخر تلعب من خلاله الخوارزميات دورًا في تكريس السرديات المهيمنة هو تصنيف المحتوى غير المتوافق، أي ذاك المحتوى الذي لا يتماشى مع سياسات المنصة أو المعايير التي تضعها الشركات التقنية الكبرى. هذه السياسات – رغم أنها تقدم عادةً تحت عنوان "معايير المجتمع" أو "مكافحة الأخبار الكاذبة" – إلا أنها كثيرًا ما تستخدم كأدوات لضبط الخطاب الرقمي بما يتناسب مع مصالح سياسية أو اقتصادية معينة. في هذا السياق، تقوم الخوارزميات بتحديد، وتقييد، وأحيانًا حذف المحتوى الذي يُصنف على أنه "ضار"، "تحريضي"، أو "مخالف"، حتى وإن كان يعبر عن رأي سياسي معارض أو يطرح رواية مغايرة للرواية الرسمية (السعدي، 2019، صفحة 54). فعلى سبيل المثال، تعرضت منشورات تتناول قضايا مثل الاحتلال، أو انتهاكات حقوق الإنسان، أو الاحتجاجات السياسية، للرقابة أو الإخفاء، فقط لأنها لا تتفق مع السردية المقبولة من الجهات التي تتحكم في منصات التواصل أو تتعامل معها تجاريًا. وهكذا، لا تقوم الخوارزميات فقط بإبراز الرواية الرسمية، بل تعمل أيضًا على تقويض إمكانات بروز سرديات بديلة من خلال تقييد المحتوى المخالف، وهو ما يؤدي إلى شكل جديد من الرقابة الناعمة، التي تتم باسم "الحياد" لكنها تخدم في الواقع مراكز القوة والنفوذ (السعدي، 2019، صفحة 56).

3.3. قوة فقاعات الترشيح (Filter Bubbles)

ما يزيد الوضع تعقيدًا هو ما يُعرف بـ"فقاعات الترشيح" (Filter Bubbles)، وهي ظاهرة تنتج عن تصميم الخوارزميات بحيث تُظهر للمستخدمين فقط ما يتوافق مع ميولهم السابقة أو مع الاتجاهات السائدة في منطقتهم الجغرافية (Gillespie, 2014, p. 102). فعلى سبيل المثال، منصة مثل TikTok تعتمد على نظام ترشيح دقيق يعرض للمستخدمين محتوى يتماشى مع تفاعلهم السابق، ما يؤدي إلى انغلاق المستخدم داخل فقاعة فكرية وثقافية، يعاد فيها تدوير نفس الروايات والأفكار، دون إتاحة مساحة حقيقية للاطلاع على وجهات نظر أخرى. وبهذا، تُعزز السردية الرسمية، ليس فقط من خلال الإقصاء، بل أيضًا من خلال التكرار المفرط وإضفاء طابع "الطبيعية" أو "المقبولية العامة" عليها.

وعلى الصعيد التقني، هناك أمثلة صارخة على تحييز الخوارزميات ظهرت في مجالات متعددة. من أبرزها أنظمة التعرف على الوجه التي استُخدمت في الأمن والمراقبة، حيث أظهرت الدراسات أن هذه الأنظمة تتعرف بدقة أعلى على وجوه البيض، وخاصة الرجال، مقارنة بذوي البشرة الداكنة أو النساء. إحدى الدراسات التي أجراها

MIT Media Lab عام 2018 أظهرت أن خوارزميات شركات مثل IBM و Microsoft ارتكبت أخطاء بنسبة تجاوزت 30% عند التعامل مع وجوه النساء من ذوي البشرة الداكنة، مقارنة بأقل من 1% للرجال البيض. هذا النوع من التحيز لا يعكس فقط اختلالاً تقنياً، بل يشير إلى اختلال بنيوي في كيفية جمع البيانات وتدريب الأنظمة (حسين، 2022، صفحة 136).

وفي مجال التوظيف، طورت شركات كبرى مثل Amazon أنظمة ذكاء اصطناعي لفرز السير الذاتية، لكنها وجدت أن الخوارزمية تفضل السير الذاتية للذكور على الإناث، خاصة في الوظائف التقنية، وذلك لأن البيانات التي تم تدريب الخوارزمية عليها كانت تعكس تاريخاً من التوظيف الذكوري المهيمن في القطاع التكنولوجي، ما أدى إلى استنساخ هذا التحيز بشكل آلي (Gillespie, 2014, p. 109).

حتى في عرض الأخبار والمحتوى العام، تظهر التحيزات الخوارزمية بوضوح، حيث تقوم منصات مثل Facebook و Twitter باختيار ما يُعرض للمستخدم بناءً على خوارزميات تعزز الإثارة أو التفاعل، وهو ما يعطي أفضلية للأخبار التي تتماشى مع الاتجاهات السائدة، أو التي لا تثير جدلاً سياسياً كبيراً، وبالتالي تضعف من فرص انتشار الأخبار التي تتبنى سرديات بديلة أو نقدية (Pariser, 2011, p. 5).

الآثار المترتبة على هذا التحيز الرقمي باللغة الخطورة، حيث يؤدي إلى تهميش الأصوات البديلة، وتقويض التنوع الفكري، ودعم الأنظمة الاستبدادية بشكل غير مباشر من خلال الحد من انتشار الخطاب المعارض. كما يسهم في تعميق الاستقطاب داخل المجتمعات، حيث يتم تعزيز قنوات المستخدمين بدلاً من توسيع أفقهم الفكري، مما يُضعف النقاش العام ويقوّض الديمقراطية.

4. التفاعل الجماهيري مع السرديات التاريخية عبر الخوارزميات.

لم يعد التفاعل الجماهيري مع السرديات التاريخية يتم عبر الوسائل التقليدية كالكتب أو المناهج الدراسية، بل بات يُعاد تشكيله بشكل جذري من خلال الخوارزميات التي تدير منصات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث. هذه الخوارزميات، التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، لا تهدف إلى تقديم التاريخ الأكاديمي أو الدقيق، بل تُفضل المحتوى الذي يحقق أكبر قدر من التفاعل، مثل: الإعجابات والمشاركات والتعليقات والمشاهدات. ونتيجة لذلك، أصبحت السرديات التاريخية التي تثير الجدل، وتحفز العواطف، وتقدم قصصاً مبسطة ومشحونة عاطفياً، أكثر قابلية للانتشار والتضخيم، حتى لو كانت مشوهة أو انتقائية (عمرو، 2021، الصفحات 37-39).

هذه الديناميكية تتجلى بوضوح في قضايا سياسية وتاريخية حساسة. على سبيل المثال: خلال أحداث حي الشيخ جراح عام 2021، ساهمت خوارزميات تيك توك ويوتيوب في تضخيم روايات حول النكبة الفلسطينية، وحق العودة، وممارسات الاحتلال، مستندة إلى محتوى عاطفي ومرئي جذب تفاعلاً عالمياً. في المقابل، رُوّجت الخوارزميات

أيضًا لسرديات إسرائيلية مضادة، ما أدى إلى تعزيز الاستقطاب بدلًا من بناء فهم مشترك للتاريخ. أما في حالة ميانمار، فقد كانت النتيجة أكثر خطورة؛ إذ كشفت تقارير أممية أن خوارزميات فيسبوك ساهمت في نشر سرديات تاريخية معادية للروهينغا، صوّرتهم كأعداء تاريخيين، مما سهّل القبول الشعبي للعنف والإبادة الجماعية ضدهم.

تشير الدراسات الأكاديمية، مثل أبحاث زينب توفقي وتقارير كلية كينيدي بجامعة هارفارد، إلى أن ما يسمى بـ"التضخيم الخوارزمي" (Algorithmic Amplification) "يساهم في انتشار الروايات المتطرفة أو المؤدلجة على حساب الروايات المتوازنة أو الأكاديمية. وهنا يبرز التحدي الأخلاقي: من يقرر ما هي الرواية التاريخية "الصحيحة"؟ و هل من دور لهذه المنصات في تصحيح المعلومات التاريخية، أم أن ذلك يفتح الباب أمام الرقابة والانحياز؟ في النهاية، ما يحدث اليوم هو أن الذكاء الاصطناعي يعيد تشكيل الذاكرة الجماعية للمجتمعات، ويُنتج سرديات تاريخية جديدة، قد تكون بعيدة عن الدقة، لكنها أكثر تأثيرًا، بسبب قدرتها على الانتشار عبر خوارزميات لا تفهم الحقيقة، بل تتغذى على التفاعل.

مثال 1: الثورات العربية وسرديات الثورة والخراب

خلال أحداث "الربيع العربي" بين 2011 و2013، لعبت منصات مثل فيسبوك وتويتر دورًا مركزيًا في تشكيل السرديات الثورية. في البداية، ضخّمت الخوارزميات مقاطع الفيديو والشهادات التي تصور المتظاهرين كأبطال يسعون للحرية، مما خلق تعاطفًا شعبيًا دوليًا، وشجّع على موجات احتجاجات في دول عدة. ومع تغير المشهد السياسي، بدأت تظهر سرديات مضادة – مدعومة أحيانًا بحملات منظمة – تصف الثورة بأنها سبب الانهيار الاقتصادي والفوضى. (العتيبي، 2020، صفحة 7) الخوارزميات، دون تمييز، ضخّمت كلا السرديتين بحسب التفاعل، مما خلق انقسامًا عميقًا بين فئات المجتمع الواحد، كما حدث في مصر وتونس وسوريا.

مثال 2: الهولوكوست وإنكار الإبادة الجماعية

بدأت منصات مثل يوتيوب وفيسبوك وتويتر في العقد الأخير، تواجه انتقادات لعدم التصدي الكافي للمحتوى الذي يروج لإنكار الهولوكوست أو التقليل من فظائع النازية. خوارزميات الاقتراح، التي تروج لمقاطع الفيديو التي تُبقي المستخدم أطول على المنصة، كانت – بحسب تقارير من منظمات مثل Anti-Defamation League – تقترح محتوى إنكار الهولوكوست بعد مشاهدة مقاطع تاريخية موثوقة، ما يفتح الباب أمام نشر سرديات كاذبة بحجة "الرأي الآخر". وقد دفعت هذه الانتقادات المنصات إلى تعديل خوارزمياتها لاحقًا في بعض الدول. (العتيبي، 2020، صفحة 10)

مثال 3: الإبادة الأرمنية وتضارب الروايات الرسمية

الرواية الأرمنية للإبادة الجماعية عام 1915 تختلف جذريًا عن الرواية التركية الرسمية، التي تنكر حدوث إبادة ممنهجة. على الإنترنت، وخصوصًا خلال المناسبات السنوية لإحياء الذكرى، تتضخم هذه السرديات عبر تويتر ويوتيوب، ويقود الخوارزميات إلى تضخيم النقاش، خاصة عندما تدخل حسابات حكومية أو حملات إلكترونية موجهة. وغالبًا ما يتم استخدام مقاطع فيديو ذات طابع عاطفي – سواء من الأرمن أو من الجانب التركي – لتكريس السردية المراد ترويجهما، مما يخلق انطباعًا لدى المتلقي بأنه أمام "الحقيقة المطلقة"، في حين أن الخوارزمية اختارت المحتوى فقط لأنه يثير الجدل أو يحقق تفاعلًا عاليًا (السعدي، 2019، صفحة 15).

مثال 4: سرديات الاستعمار في إفريقيا وآسيا

في السنوات الأخيرة، ومع تنامي حركات "إزالة الاستعمار المعرفي" (Decolonizing Knowledge)، بدأت تظهر موجة جديدة من المحتوى الرقمي على إنستغرام وتيك توك ويوتيوب، يسلط الضوء على الجرائم الاستعمارية البريطانية، الفرنسية، والبلجيكية في إفريقيا وآسيا، والتي تم تهميشها طويلًا في السرديات الرسمية الغربية. مقاطع قصيرة تشرح مثلًا كيف قطعت بلجيكا أيدي العمال في الكونغو، أو كيف استخدمت فرنسا الأسلحة الكيميائية في الجزائر، أصبحت فجأة "ترندات"، ما أجبر المؤسسات الغربية، مثل المتاحف والجامعات، على إعادة النظر في سردياتها التاريخية. وفي المقابل، ظهرت حملات مضادة – مدعومة أحيانًا من أطراف يمينية – تروج لفكرة "الاستعمار الإيجابي"، وتبرر وجوده كأداة للتحديث. الخوارزميات تعاملت مع كلا التيارين على أساس مدى التفاعل، دون تمييز علمي أو أخلاقي (حسين، 2022، صفحة 43).

مثال 5: حروب الذاكرة في الهند – الإسلام والمغول

في الهند، تشهد السرديات التاريخية المرتبطة بالإمبراطورية المغولية (ذات الجذور الإسلامية) إعادة تفسير قوية في ظل صعود التيارات الهندوسية القومية. مقاطع الفيديو التي تصور المسلمين على أنهم "غزاة" و"مدمرو الثقافة الهندوسية" تنتشر بكثافة على تيك توك ويوتيوب، مدفوعة بخوارزميات تعزز المحتوى القومي المتطرف. في المقابل، يحاول مثقفون ومؤرخون تقديم روايات أكثر توازنًا، لكن الوصول إليها يكون أصعب، لأنها أقل "جاذبية خوارزمية" (حسين، 2022، صفحة 45).

5. الخاتمة

لقد غيّرت الخوارزميات الطريقة التي نستهلك بها المحتوى التاريخي، وجعلت من المنصات الرقمية فضاءات لصياغة سرديات جديدة، لكنها ليست دومًا حيادية أو شاملة. فالخوارزميات لا تعمل في فراغ، بل تعكس توجهات اقتصادية، سياسية، وثقافية محددة، تؤثر في ما يظهر للمستخدمين وما يُهمَّش. في ظل هذه البيئة الرقمية، تتعرض السرديات التاريخية لمعادلات جديدة من الفرز، والإبراز، والتغيب، وفق معايير لا تتعلق بالدقة التاريخية بقدر ما ترتبط بجاذبية المحتوى وسرعة انتشاره. ورغم ما توفره المنصات من إمكانيات لتداول التاريخ خارج المؤسسات الرسمية، إلا أن آليات الخوارزميات قد تركز سرديات سائدة وتضعف التعدد والتنوع. وهذا ما يدفعنا للتساؤل: هل نحن أمام ديمقراطية رقمية في السرد التاريخي، أم إعادة إنتاج لهيمنة قديمة بأدوات جديدة؟ من هنا، تبدو الحاجة ملحة لتطوير وعي نقدي لدى الجمهور، وتعزيز ممارسات رقمية مسؤولة، تدرك حدود الخوارزميات وتستخدمها بذكاء دون أن تنساق خلفها. ففهم التاريخ لا يكون فقط في معرفة الماضي، بل أيضًا في فهم كيف يُروى، ولماذا يُروى بهذه الطريقة، ومن يتحكم في روايته.

6. قائمة المراجع

- Gillespie, T. (2014). Media technologies: Essays on communication, materiality, and society. MIT Press.
- Noble, S. (2018). Algorithms of oppression: How search engines reinforce racism. New York: New York University Press.
- Pariser, E. (2011). *The filter bubble: What the Internet is hiding from you*. Penguin Press.
- عبد الله حسين. (2022). التاريخ على وسائل التواصل الاجتماعي: بين التوثيق والتحريف. *مجلة المعرفة الرقمية*، 7.
- كمال السعدي . (2019). السرديات التاريخية في العصر الرقمي: من الاحتكار إلى التفاعل. *مجلة دراسات إعلامية*، 13.
- محمد عمرو. (2021). الخوارزميات وتوجيه المحتوى في المنصات الرقمية: دراسة في التأثير والتلاعب. *المجلة العربية للإعلام الرقمي*، 2(5).
- نورة العتيبي. (2020). تحليل التحيز الخوارزمي في منصات التواصل الاجتماعي. *مجلة العلوم الاجتماعية*، 28(1).